الحيل والخدع السياسية خلال العصر العباسى الأول
(١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ – ٨٤٨ م)

د . أحمد محمد عبد المقصود *

مقدمة

شهد التاريخ الإنسانى العديد من الأنشطة التى لم يكن للإنسان هدف من ممارستها ، غير تحقيق أكبر قدر من المكاسب ، مع تقليل الجهد دونما خسائر ، ولقد تعددت تلك الوسائل واختلفت سبلها باختلاف المسبب لها ، فمن بين تلك الوسائل والأساليب استخدام الحيل والمخادعة ، ولعل الناظر إلى هاتين الوسيلتين يجد أن مجرد ذكرهما يوجد فى نفسه غضاضة لما ينطويان عليه من شر يمارس على من غفل عقله عن أخذ الحيطة فى كل أموره ، إلا أن الحيلة أو المخادعة إنما تحمل وجهين ، الأول هوما سبق ذكره وهو الاحتيال والمخادعة على شخص سليم النية ، أما الوجه الثانى فقد يكون المحتال أو المخادع إنما يطلب بهاتين الوسيلتين حقه ، ولعل أكبر مثال على ذلك السياسة والحرب .

فإن الخصمين إنما أحدهما على حق والأخر على باطل ، فليس هناك حرب يكونا المتحاربان فيها على الحق سواء ، فيلجأ صاحب الحق فيها إلى استخدام الحيلة والمخادعة ، كذلك السياسى ، إنما يلجأ للحيلة سواء أكان محقًا فى استخدامها أم لا ، للتخلص من خصومه فى الداخل والخارج ، أو على الأقل تجنيدهم لمصلحته ، أو تجريدهم من أسلحتهم التى يستخدمونها ضده .

* دكتوراه من قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية شعبة تاريخ إسلامى من كلية الآداب جامعة الإسكندرية

ومن السياسة والحرب إلى الدين ، فهناك من يستخدم الخداع الدينى ويتحايل به على من قلت لديهم الثقافة الدينية للوصول بهم إلى مآربه ، مثال ذلك : ما حدث فى الحروب الصليبية [١] .

أما على الصعيدين الاقتصادى والاجتماعى

فإن الحيل المستخدمة والخداع يكون جميعًا بهدف إيجاد حياة كريمة لنفسه فى نظر المخادع أو المتحايل ، فهو يعتمد بشكل كبير على بعض الوسائل غير الشريفة ، مثل الكذب والغش ، وقد نهى الإسلام عنهما فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وإننا فى بحثنا هذا سنختص بدراسة الحيل السياسية دون غيرها ، محاولةً منا بتسليط بعض الضوء على أهم الحيل والخدع السياسية للدولة العباسية خلال عصرها الأول .

وقبل الدخول فى تفاصيل ذلك البحث يجدر أولاً التعريف بالحيلة والخداع على المستويين اللغوى والاصطلاحى ، فالحيلة لغة : هى الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف والحِوَلُ والحِيَلُ والحِيلاتُ جُموعُ حِيلَةٍ [٢] ، أما الخداع فإنه يعرّف فى اللغة بأنه : أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزِلَّه عما هو فيه أو عما هو بصدده ، من قولهم خدع الضب إذا توارى فى جحره ، وضب خادع وخدع إذا وهم الحارس إقباله ثم خرج من باب آخر ، وأصله الإخفاء ، والخديعة : المكر والحيلة ، قيل المراد بالمخادعة : إظهار غير ما فى النفس وإبطان الكفر وإظهار الإيمان [٣] . أما التعريف الاصطلاحى للخداع : فهو إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه ، وبمعنى آخر يمكن تعريف الخدعة فى الحرب بأنها الاحتيال والمراوغة ، بما يظهر حينًا من الوسائل ، ويخفى حينًا آخر ؛ لتقليل الخسائر وانتزاع الانتصار بغالب التقدير والظن ، وهو ما يجعل أهداف العدو تكسد وتفسد [٤].

تمهيد

لكل عصر حيله ومخادعاته التى فرضتها مجريات الأحداث على أهله طبقًا لظروفه ، فلما جاء الإسلام بمكة عارضه أهلها ، وكان لا بد للنبى ﷺ والصحابة من أخذ الحيطة بهدف تأمينهم والحفاظ على الدعوة الإسلامية فتعددت الأساليب والوسائل من أجل هذا ، ولعل أهم وأشهر مخادعة استخدمها النبى لأهل قريش هى مخادعته لهم ليلة الهجرة عندما تجمعوا حول بيته ليقتلوه بهدف القضاء على دعوته ، فلم يكن من النبى إلا أن أمر على بن أبى طالب بأن ينام فى فراشه حتى يظن القريشيون أنه هو الذى ينام ، فى حين يكون خارجًا إلى الهجرة [٥] ، وعندما انتقل النبى إلى المدينة لكى يقيم فيها دولة الإسلام لم تكن قريش لتتركه بطبيعة الحال ، إذ قامت الحروب بينهما من بدر ٢ هـ إلى أحد ٣ هـ ثم إلى غزوة الأحزاب أو الخندق فى العام الخامس من الهجرة التى عانى منها المسلمون أيما معاناة سواء من شدة الحصار أو البرد ، وكان لا بد لتلك المعركة أن تنتهى ، إذ تجمد الموقف الحربى بين اللاسلم واللاحرب بسبب الخندق الفاصل بينهما ، وهنا ظهرت الحيلة والمخادعة التى أنهت ذلك الموقف بل أنهت الحرب أيضًا ، إذ أسلم نعيم بن مسعود الغطفانى الذى أراد أن يبرهن على إسلامه ، فوضع خدماته أمام النبى ﷺ ، ملتمسًا منه إيجاد الوسيلة الممكنة التى يحسم الصراع بها لمصلحة المسلمين ، فأشار النبى عليه بقوله : " إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة " [٦] ، فراح (نعيم بن مسعود) يوقع الفتنة بين الفرق المتحزبة على المسلمين من قريش وغطفان ويهود بنى قريظة ، فبث الشك فى نوايا كل منهم تجاه الآخر ، فأوعز إلى اليهود أن قريشًا وغطفان من الممكن أن يوقفوا الحرب على المسلمين فى أى لحظة فينفرد المسلمون بهم للانتقام من خيانتهم للعهد ، فلابد لليهود أن يأخذوا منهم رهائن يظلون عندهم لحين انتهاء الحرب ، فعندما صدّقه اليهود

فى قوله ذهب إلى قريش وحليفتها غطفان ، قائلاً لهم إن اليهود قد ندموا على خيانتهم العهد مع المسلمين ، وأنهم يأخذون منكم رهائن ، فيسلمونهم إلى النبى ، حتى يأمنهم على أنفسهم ، وقد راح كل من الفرق الثلاث تنفذ خطة نعيم ، فدبت الفرقة بينهم [٧] .

ومن عهد النبوة ، إلى عصر الخلافة الراشدة ، خاصة عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٤ – ٣٥ هـ / ٦٤٥ – ٦٥٦ م) ، حيث شهد أواخر عصره خدعة من كبرى الخدع فى تاريخ المسلمين التى استخدمت فيها الكثير من الحيل ، وهدفها انقسام المسلمين على أنفسهم وإحداث الفتن بينهم ، وهو ما يعرف بالفتنة الكبرى التى كان مبعثها عبد الله بن سبأ [٨] الذى حمل الناس على الانقلاب على الخليفة عثمان بن عفان ، وذلك عن طريق المخادعة واستخدام الحيل التى منها إثارة الرأى العام داخل الدولة الإسلامية وغمره بموجة من السخط العام عن طريق بث الشائعات فى كل إقليم بأنهم أحسن حالاً من إخوانهم الذين فى باقى الأمصار الأخرى ، وذلك بأن " أمر ابن سبأ أتباعه بالحض على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار ، فيتخيل أهل البصرة مثلاً أن حال مصر على أسوأ ما يكون من قبل واليهم ، ويتخيل أهل مصر أن حال الكوفة على أسوأ ما يكون من قبل أميرهم ، وكان أهل المدينة يتلقون الكتب من الأمصار بحالها وسوئها من أتباع ابن سبأ ، وهكذا يتخيل للناس فى جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه " [٩] ، والمستفيد من هذا بطبيعة الحال السبئية ، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم فى إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامى .

وقد لجأ عبد الله بن سبأ فى برنامجه هذا إلى إضفاء صفة الشرعية فى دعايته وصبغها بصبغة الحق من أصحابه فعمد إلى بعض الكتب والمراسلات التى نسبها إلى كبار الصحابة وأمهات المؤمنين ، مثل عائشة وعلي بن أبى طالب والزبير وطلحة ، يظهرون فيها استغاثتهم

بالمسلمين فى الأمصار من ظلم الخليفة الراشد عثمان ، فقد جاء فى هذه المراسلات أن " دين محمد قد فسد وترك ، والجهاد فى المدينة خير من الرباط فى الثغور البعيدة " [١٠].

ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً : " وهذا كذب على الصحابة ، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم ، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج – قتلة عثمان – " [١١] ، ولقد أنكر الصحابة هذه المراسلات المزورة عنهم ، فالسيدة عائشة عندما وُوجهت بهذا قالت : " لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسي هذا " [١٢] ، كما أنكر الإمام علي هذه المراسلات ، فيقسم " والله ما كتبت إليكم كتابًا " [١٣] ، وهذه الحيل وغيرها قد أدت الهدف المرجو منها وهو تأليب المسلمين على الخليفة عثمان والهدف منها مقتله فيقع بذلك الهرج والمرج بين المسلمين ، وهذا ما حدث بالفعل إذ استشهد الخليفة عثمان بن عفان على أيدى هؤلاء الفاسدين والمفسدين فى الأرض عام ٣٥ هـ / ٦٥٦ م فتولى بعده الإمام على بن أبى طالب (٣٥ – ٤٠ هـ / ٦٥٦ – ٦٦١ م) كرسى الخلافة ، وقد حاول رأب الصدع بين الجماعة الإسلامية إلا أنه قد خرج فريق على رأسه السيدة عائشة وطلحة والزبير بن العوام من جهة ومعاوية بن أبى سفيان والى الشام من جهة ثانية يطالبون بأخذ القصاص من قتلة الخليفة عثمان ، وقد حاول الإمام على تهدأتهم وإفهامهم بأن الدولة فى خطر وأنه أول من يأخذ القصاص ريثما تهدأ الأمور فيقدم القتلة إلى القضاء ، إلا أن فريق السيدة عائشة قد تعجل الأمر فخرج إلى الكوفة فأوقعت السبئية بين الإمام على وجيش السيدة عائشة وطلحة والزبير وذلك فيما يعرف بموقعة الجمل عام ٣٦ هـ _ ٦٥٧ م ، كذلك لم يمتثل معاوية بن أبى سفيان والى الشام لأوامر الإمام على بالدخول فى البيعة والتزام الهدوء ريثما تأخذ الدولة ركائزها فدارت معركة بين الإمام على ومعاوية وهى

المعروفة بموقعة صفين عام ٣٧ هـ / ٦٥٧ م ، فلم تسفر المعركة عن أثر ملموس ، إذ توقفت بحيلة من عمرو بن العاص ، قامت على دعوة الفريقين لتحكيم كتاب الله بينهما ، وانتدب حكمان كى يفصلا فى الأمر ، فكان أبو موسى الأشعرى نائبًا عن علي بن أبى طالب ، وعمرو بن العاص مندوبًا عن معاوية ، وقد دار تفاوض بين الحكمين حول أمر حقن الدماء بين المسلمين ، وبنى عمرو بن العاص بفضل ما أوتى من دهاء محكم وذكاء مطلق على هذا الأمر حيلته وخداعه بأبى موسى الأشعرى ، فطرح عليه فكرة خلع الإمام علي ومعاوية ، إذ أنهما سبب هذا التعنت ، فيأتى للأمة خليفة جديد تتفق عليه جماعة المسلمين ، وعندما انتهى الحكمان من اتفاقهما هذا لم يكن أمامهما غير إعلان هذا الاتفاق ، وطبقًا لترتيب الخداع السياسى من جانب عمرو ، رأى أن يقدم أبا موسى عليه فى الكلام بحجة أنه أحد أصحاب النبى وأكبر منه سنًا ، فتقدم أبو موسى معلنًا قرارهما : " أيها الناس ، إنّا قد نظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيى ورأى عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليًا ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، وإنى قد خلعت عليًا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ، ثم تنحى وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه لما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولى عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه . فقال أبو موسى : مالك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت !" [١٤] .

هذا ولم ينتج عن تلك المخادعة السياسية من جانب عمرو أى نتائج من شأنها حسم الصراع بين على ومعاوية ؛ إذ تجمد الموقف السياسى والحربى بينهما ، فلا سلم ولا حرب ، وذلك لانشغال أمير المؤمنين علي

بن أبى طالب بقتال الخوارج [١٥] عام (٣٨ هـ_٦٥٨ م) فى معركة النهروان .

ومن الجدير بالذكر أنه من الممكن فى بعض الأحيان أن يحدث تجانس ما بين الحيل السياسية والمواقف الحربية التى تنتهى بالمناقشات السياسية ، نتيجة لتأزم الموقف الحربى ؛ إذ إنه من خلال تلك المفاوضات داخل المعسكرات الحربية يحاول كل فريق أن يخرج من مأزقه بأى حيلة أو مخادعة سياسية من شأنها تقليل خسائره مع تحقيق أكبر قدر من المكاسب .

وقد ورثت الخلافة الأموية بدمشق(٤١ – ١٣٢هـ /٦٦١– ٧٤٩ م) أهم المشكلات التى نشبت أواخر عهد الخلافة الراشدة والتى من أهمها مشكلة الصراع مع الخوارج الذين رفضوا حكم الأمويين فدارت الحروب بينهما ، وقد استغلت الخلافة الأموية بعض الصفات التى اتصف بها الخوارج والتى أهمها انقسامهم على أنفسهم لأتفه الأسباب مستخدمة فى ذلك حيلاً ومخادعات لعل من أشهرها تلك الحيلة التى استخدمها المهلّب بن أبى صفرة [١٦] أحد رجالات الدولة الأموية ضد فرقة الأزارقة [١٧] من الخوارج بقيادة قطرى بن الفجاءة [١٨] ، حيث كان فى معسكره أحد الحدادين الصانع للسهام والذى كان يلقى بها على معسكر المهلب ، فما كان من المهلب إلا أن أراد أن يُحدث شقاقًا بين الأزارقة متخذًا من هذا الحداد وسيلة لحيلته ، حيث وجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى بن الفجاءة قائد الخوارج وأميرهم ، فقال له : ألق هذا الكتاب ومعه الدراهم فى المعسكر ، واحذر على نفسك ، فمضى الرجل وكان فى الكتاب : " أما بعد فإن نصالك قد وصلت إلى وقد وجهت إليك بألف دينار فاقبضها وزدنا من النصال " [١٩] ولقد آتت تلك الحيلة المخادعة الهدف المرجو منها ، حيث عرف قطرى بخبر الحداد والدراهم التى أتت إليه فأخذ يحقق معه ، إلا أن الحداد أنكر تلك التهمة وهى

الخيانة لقطرى والموالاة لابن أبى صفرة ، فما كان من قطرى إلا أن أمر بقتله دونما بينة ، وهو ما أثار أحد الرجالات الأزارقة معترضًا على حكم قطرى الذى أخذ يدافع عن قراره ، غير أن الشقاق قد وقع داخل فرقة الأزارقة.

هذا ولم يكتف المهلب بنتائج حيلته هذه بل زاد فيها وهدفه تلك المرة هو قطرى نفسه ، وذلك بأن يلفظه من حوله من الموالين له ، حيث عمد المهلب إلى رجل نصرانى جعل له جعلا يرغب فى مثله وقال له : إذا رأيت قطريًا فاسجد له ، فإذا نهاك فقل : إنما سجدت لك ، ففعل ذلك النصرانى فقال قطرى إنما السجود لله ، فقال النصرانى : ما سجدت إلا لك ، فقال رجل من الخوارج إنه قد عبدك من دون الله ، وتلا قوله تعالى : " إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " فقال قطرى إن النصارى قد عبدوا المسيح عيسى ابن مريم فما ضر عيسى ذلك شيئًا ، فقام رجل من الخوارج إلى النصرانى فقتله فأنكر قطرى ذلك عليه ، وأنكر قوم من الخوارج على قطرى إنكاره .

وبلغ المهلب ذلك الخلاف أيضًا ، فأراد أن يزيد الأمر بينهم احتدامًا فوجه إليهم رجلاً يسألهم ، فأتاهم ، وقال لهم : أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما فى الطريق ، وبلغ الآخر إليكم ، فامتحنتموه ، فلم يجز المحنة ، ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الميت فمن أهل الجنة ، وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجاوز المحنة ، وقال قوم آخرون : هما كافران ، فكثر الاختلاف ، واشتد ، وخرج قطرى إلى حدود اصطخر ، فأقام شهرًا والقوم فى خلافهم " [٢٠] .

واستمرارًا لمسلسل التحايل والخداع السياسى نرى أن المشرق الإسلامى قد شهد أوائل القرن الثانى الهجرى أكبر الحيل والمخادعة السياسية ، وذلك من جانب العباسيين الذين أدخلوا فى دعاياتهم أسلوب الخداع ؛ حتى لا يقعوا فى الأخطاء التى طالما وقع فيها أبناء عمومتهم

من العلويين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرادوا باستخدامهم لهذا الأسلوب خداع الدولة الأموية التى فى حالة رصدها لأنشطة البيت العباسى فإن الإشارة بطبيعة الحال إنما تتجه للبيت العلوى الذى طالما أعلن الثورات ضد الخلافة الأموية ، فبذلك يضمن العباسيون أمانهم ، فى حين يصب الأمويون غضبهم على العلويين .

فأسلوب الخداع السياسى من جانب أبناء البيت العباسى قد انطوى على استخدام الشعارات العلوية ، مثال ذلك الرضا من آل محمد وهو شعار فى ظاهره يخص البيت العلوى ، إلا أنه فى باطنه قصد العباسيون منه اختصاصهم به ، ولكى يزيد العباسيون فى الخداع نراهم يطلقون على أنفسهم شعارًا آخر وهو " الهاشمية " ، وهو شعار عام يطلق على جميع آل البيت ، وقد قصدوا بهذا الشعار هذه المرة الاحتيال على المتعاطفين مع قضية آل البيت بحقهم فى الحكم والخلافة ؛ إذ إنه يوافق أفكار المعتقدين ويوافق آراءهم ويلبى رغباتهم ويحقق غاياتهم ، وهو يحرك عواطف المسلمين ويثير مشاعرهم ، ويحمل فريقًا منهم على الانضمام إلى الدعوة ومؤازرة أصحابها.

وكانت هذه الحيلة التى انطوت عليها تلك الوسيلة تهدف إلى تفويت الفرصة على العلويين فى حالة تصريح العباسيين بدعواهم وحقهم فى الخلافة ، وذلك إذا ما ندد أبناء البيت العلوى بهم داخل العالم الإسلامى ، بأن هذا الشعار ليس مقصورًا على البيت العلوى فحسب ، بل إنه يختص بالبيتين العلوى والعباسى .

ولما استطاع العباسيون الوصول إلى كرسى الخلافة بفضل مجهوداتهم وتنظيمهم الدعائى الذى بثّوه فى مشرق العالم الإسلامى ، نجد أن العلويين قد نظروا إلى أبناء عمومتهم بأنهم أخذوا حقًا ليس لهم ، ولكى يفوت العباسيون الفرصة على العلويين مرة أخرى ، حتى لا يثيروا المتاعب فى وجه الدولة الجديدة ، نراهم يصطنعون حيلة سياسية من

أجل خداعهم وإبطال دعواهم وإحباط المشاعر التى لدى المسلمين تجاههم ، فعمدوا إلى إذاعة خبر تنازل الإمام " أبي هاشم بن محمد بن الحنفية " [٢١] قبل وفاته عن إمامة المسلمين إلى " محمد بن علي بن عبد الله بن العباس" وتكليفه بالنهوض بقضية آل البيت فى حقهم فى الخلافة . وكان لهذا الخبر رد فعل عنيف داخل البيت العلوى ؛ إذ أنكروه تمام الإنكار ولم يسلموا بصحته ، فأثار العلويون المتاعب ضد الدولة العباسية التى كانت تنتهى بإسالة دماء العلويين الذين كانوا يفتقدون إلى التنظيم الدعائى الذى برع فيه العباسيون .

الحيل والخداع السياسى خلال العصر العباسى الأول

جاء قيام الدولة العباسية على دعاية واسعة النطاق نهض بها دعاة مدربون على أعلى درجات الكفاءة الدعوية حتى استطاعوا تجييش الجيوش وتجنيد الأنصار الناقمين على الدولة الأموية حتى أسقطوها ، فى حين جلس العباسيون على كرسى الخلافة . وقد واجهت الخلافة الجديدة عددًا من المشكلات السياسية التى جابهت الخلفاء والتى استحال معها إيجاد حل مباشر ينهى تلك المشكلات دون أن تتكبد الخلافة خسائر ، بل كان الهدف تحقيق أكبر قدر من المكاسب ، سواء أكان ذلك على المستوى الشخصى للخلفاء أم المستوى العام الذى يحقق مصلحة الدولة العباسية فى شرق العالم الإسلامى ومغربه .

أ – الحيل والخداع السياسى خلال عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ / ٧٥٤ – ٧٧٥ م)

لم يكن جلوس العباسيين على كرسي الخلافة – كما سبقت الإشارة – ليرضى أبناء عمومتهم من العلويين ، إذ وجدوا فى وصولهم إلى الخلافة خيانة لهم ولقضية آل البيت من العلويين الذين أخذوا يدافعون عن قضيتهم فأعلنوا الحرب على الدولة العباسية ، ولعل أولى ثوراتهم هى تلك الثورة التى شنها محمد النفس الزكية [٢٢] بالمدينة المنورة عام

١٤٥ هـ /٧٦٢ م وكانت الثورة في بدايتها سرية لا تعلم الخلافة العباسية عنها أى معلومات من شأنها إحباط الثورة فى مهدها ، حيث كان محمد النفس الزكية مختبئا فى مكان داخل المدينة ، و يرسل الرسائل إلى مختلف الأقطار ؛ لأخذ البيعة له ، وكان الخليفة أبو جعفر المنصور يتوق لمعرفة مكان النفس الزكية ، وعلى الرغم من الوسائل المتعددة التى استعملت لمعرفة مكانه ، فقد باءت جميعًا بالفشل ، ولم يكن أمام الخليفة أبي جعفر غير استخدام الحيل والمخادعات للنفس الزكية حتى يعرف مكانه من جهة ولكى يحبط مشاعر المتشيعين له فى الأمصار من جهة أخرى .

فعن خداع المتشيعين للنفس الزكية خاصة فى خراسان لجأ المنصور إلى خدعة عدم معرفة الخراسانيين بهيئة النفس الزكية ، وذلك أنه لما توفى أحد أقرباء النفس الزكية فى سجن المنصور تحت التعذيب وكان يدعى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، قطعت رأسه فأمر المنصور بعض رجاله بالخروج إلى خراسان والطواف فيها رافعين تلك الرأس ومقسمين بأنها رأس محمد بن عبد الله وفى نياتهم أنها لصاحبها ، أمَّا ظاهر القَسَم فهو أنها لمحمد النفس الزكية ؛ وذلك لإحباط مشاعر المتشيعين له حتى يتراجعوا عن ثورتهم فتهدأ بذلك خراسان وتعود إلى حظيرة الخلافة العباسية دون جهد يُبذل [٢٣].

أمَّا عن الحيل لمعرفة مكان النفس الزكية فقد عمد أبو جعفر إلى حيلة مؤداها دس العيون للنفس الزكية ؛ للكيد له بإيحائهم بأنهم أتباعه ؛ بهدف الاطلاع على حقيقة خططه وتمويه الحقائق عليه ، وهم الذين أوحوا إليه أن دعوته قد عمت الأقطار ، ولم يكتف المنصور بذلك بل كان يكتب إليه على ألسنة قواد العباسيين يدعون محمداً النفس الزكية إلى الظهور ويخبرونه بأنهم معه ، فكان محمد النفس الزكية يقول : " لو التقينا مال إليّ القواد كلهم "[٢٤]، وقد خُدع النفس الزكية بتلك الحيل التى عجلت

ظهوره ، إضافة إلى الضغط والتعذيب اللذين مورسا على أهله ، فأعلن ثورته بالمدينة المنورة عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، إلا أن هذه الثورة باءت بالفشل ، وراح النفس الزكية ضحية لها تحت ضغط الجيش الذى أرسلته الخلافة العباسية ، إضافة إلى ضيق المدينة وقلة من حوله من الجنود [٢٥].

ولم تكن مشكلة العلويين المشكلة الوحيدة التى واجهت الدولة العباسية ، بل كان هناك العديد من المشكلات السياسية ، مثل ولاية العهد التى شغلت الخليفة العباسى الثانى أبا جعفر المنصور ، إذ كان المتفق عليه أن يلى أبا جعفر فى الخلافة ابن أخيه عيسى بن موسى ، وشأن كل الآباء أنهم يريدون أن يرثهم أولادهم ، وكان أبو جعفر يريد أن يورث ابنه محمداً المهدى الخلافة من بعده ، لكن وجود عيسى بن موسى قد حال بينه وبين رغبته هذه ، فأخذ المنصور يفكر فى إيجاد حيلة يتخلص بها من ولاية عهد عيسى ، فأعجزته الحيلة فى إيجاد مخرج ، إلا أن ثورة عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس قد قدمت له الحيلة المطلوبة ، إذ إن عبد الله بن علي عندما مات أول خلفاء الدولة العباسية وهو أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ / ٧٤٩-٧٥٤ م) شعر أنه أولى بالخلافة من ابن أخيه أبى جعفر [٢٦] ، فأعلن نفسه خليفة بعد أن كان واليًا على الشام خلال عهد الخليفة أبى العباس السفاح.

فلم يكن من أبى جعفر إلا أن يرسل إليه جيشًا بقيادة أبى مسلم الخراسانى الذى استطاع هزيمة عبد الله بن علي ، ففر إلى أخيه سليمان بن علي والى البصرة آنذاك [٢٧] ، فظل عنده مختبئًا ، إلى أن سلّم لأبى جعفر المنصور عام (١٣٩هـ/٧٥٥م) ، فأمر المنصور بحبس عمه فى دار ابن أخيه عيسى بن موسى ، وفى أثناء حبس عبد الله لاحت لأبى جعفر فكرة التخلص من خصمين فى وقت واحد ، وهما عمه عبد الله وابن أخيه عيسى بن موسى ، فاحتال على عيسى بأن أمره بأن يحتجز

عمه عبد الله عنده ثم يقتله سرًا بحجة أنه قد أراد أن يزيح الملك عنه وعن أبى جعفر ، وكان يلح عليه فى قتله ، إلا أن عيسى كان فى حيرة من أمره فاستشار أحد المقربين منه فى أمره هذا ، فأشار عليه أن فى أمر أبى جعفر مكيدة ، وهي التخلص من عيسى وعبد الله بن على فى وقت واحد ، وقد أشار عليه بأن يحتجزه ولا يقتله ، وفى حال طلب الخليفة لعمه عبد الله بن على فإن عيسى لا يرده إليه إلا علنًا [٢٨] .

وقد أخذ عيسى بن موسى بتلك النصيحة ، فلم يقتل عبد الله بن على ، بل احتفظ به محبوسًا فى داره مع إخبار الخليفة بأن أمره بالقتل قد تحقق ، وبعد مرور فترة من الوقت شعر فيها المنصور أن الجزء الأول من حيلته قد تم إحكامه بمقتل عمه على يد ولى عهده ، وعندئذ وجد أن الوقت قد حان لتنفيذ الجزء الثانى من حيلته ، وهو أن يدس إلى عمومته من يوعز إليهم أنهم إذا ما تقدموا لطلب العفو عن عبد الله بن على فإن المنصور سيوافق ويسلمه لهم ، فتقدم أخوة عبد الله بن علي لطلب العفو فوافق المنصور ، طالبًا من ولى عهده تسليم عبد الله بن علي ، وعندئذ تظاهر عيسى بن موسى باحتجاجه على قرار العفو ؛ لأنه قد أنفذ أمر الخليفة فيه بالقتل ، وحينها بدأ المنصور ينفذ الجزء الثالث من حيلته ، وهو إعلان أنه لم يأمر بالقتل ، بل أمر بحبس عبد الله بن علي ، وفى ذلك اتهام لولى عهد الخلافة العباسية عيسى بن موسى بأنه قد قتل شخصًا بدون أمر الخليفة ، وفى هذه الحالة يجب أخذ القصاص منه على يد أخوة عبد الله بن علي ، فسُلم عيسى بن موسى إليهم ، وعند تنفيذ القصاص فيه طلب إعادته إلى الخليفة المنصور قائلاً له : " إنما أردت بقتله أن تقتلنى ، هذا عمك حى سوى ، إن أمرتنى بدفعه إليك دفعته . قال : ائتنى به ، فأتاه به ، فقال له عيسى : دبرت علي **أمرًا** فخشيته ، فكان كما خشيت شأنك وعمك ، قال:يدخل حتى أرى رأيى" [٢٩]

ولما فشلت تلك الحيلة أخذ المنصور يفكر فى حل آخر ، فلم يجد هذه المرة غير المكاشفة والمصارحة لعيسى بأن يتنازل عن ولاية العهد لمحمد المهدى ، فكلمه المنصور بأسلوب رقيق ولهجة هادئة لينة لتقديم ابنه عليه ، إلا أن عيسى أبى أن يتنازل عن منصبه وحقه فى ولاية العهد [٣٠].

وأمام ذلك الموقف الرافض من قبل عيسى ، نرى أن المنصور قد اتخذ عدة إجراءات تتعلق بعضها بمراسم المجلس الخلافى ، واختص بعضها بمضايقة عيسى بن موسى فى مجلس الخلافة ، إذ كان ترتيب المجلس يأتى بأن يجلس عن يمين الخليفة ولى عهده ، فى حين يجلس ولده عن يساره ، فعمد المنصور إلى إجلاس ابنه محمد المهدى عن يمينه ، بدلًا من ولى العهد عيسى بن موسى الذى إذا ما أتى وشاهد هذا الموقف جلس هو الآخر عن يمين الخليفة ، وذلك بهدف إياس المنصور من رغبته ، كذلك كان المنصور يأمر بالإذن للمهدى ولغيره من أعيان العباسيين ، ويوهم عيسى أنه يبدأ بهم لمذاكرتهم في بعض المسائل المهمة العارضة ، ثم يأذن له بعد ذلك ، واحتمل عيسى هذه المعاملة دون أن يشكو أو يتذمر.

وقد أعجزت الحيل الخليفة المنصور فى إيجاد حل يجبر عيسى بن موسى عن التخلى عن منصب ولاية العهد للمهدى ، وظل المنصور يتصيد الفرصة لتحقيق هدفه ، إلى أن أتاه الحل عن طريق ابن ولى العهد ، وهو موسى بن عيسى بن موسى الذى شعر بمدى المهانة التى يلقاها أبوه بسبب هذا المنصب ، فخاف عليه وأراد أن تحفظ له كرامته ، ففكر فى حيلة تحفظ لأبيه مكانته بين المسلمين ، وتتلخص هذه الحيلة فى إظهار المنصور السبب وراء امتناع عيسى بن موسى عن التخلى عن منصبه ، وهو أن ولى العهد إنما يحتفظ بمنصبه هذا ، حتى يكون يومًا ما خليفة المسلمين فيولى ابنه ولاية عهده ، وهو ما لا يرضاه

المنصور أن يكون ابن عيسى بن موسى أميرًا على المهدى ؛ لذا يجب على المنصور التخلص من السبب الذى يتمسك به ولي العهد والذى على ضوئه يصدر الخليفة ظاهريًا أمرًا بقتل أكبر أبناء ولى العهد موسى ، وهو ما ينتج عنه شعور الأب بالخوف على ولده من الموت ، فيتخلى مجبرًا عن هذا المنصب للمهدى بن المنصور.

وقد وافق المنصور على تنفيذ تلك الحيلة عند انعقاد المجلس الخلافى ، وآتت هذه الحيلة المدبرة الهدف المرجو منها ، إذ تنازل عيسى بن موسى عن منصبه فى ولاية العهد لمحمد المهدى حتى ينجى ابنه من الموت[٣١] ، وهكذا استطاع الخليفة أبو جعفر المنصور بفضل تلك الحيل التى ابتدعها والتى اصطنعها معه بعض رجال دولته أن يجعل عيسى بن موسى يتنازل رغم أنفه عن ولاية العهد للأمير محمد المهدى ، وذلك عام (١٤٧هـ /٧٦٦م) .

هذا ولم تكن الحيل السياسية لتقتصر على خدمة أصحاب السلطة فحسب مثلما سبق ، بل كانت الحيل تعمل على تماسك الدولة ووحدة صفها ، وذلك بتفويت الفرصة على بعض الجماعات لكى تضغط على السلطة الحاكمة محاولة منها للسيطرة على مقاليد الأمور ، فكانت الحيل التى يلجأ إليها الحكّام حتى يفرقوا شمل هذه التجمعات ليحفظوا للدولة تماسكها واستقرارها ، وذلك فيما يعرف فى الاصطلاح الحديث بسياسة فرق تسد (Divid,etimpera) التى تخدم هدفين : أولهما تفريق قوة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة لتصبح أقل قوة وهى غير متحدة بعضها مع بعض ، وهو ما يسهل مواجهتها وإخضاعها ، أما الهدف الثانى فهو يعمل على القوى المتفرقة التى لم يسبق أن اتحدت والتى يراد منعها من الاتحاد وتشكيل قوة كبيرة يصعب التعامل معها [٣٢] .

وما يهمنا فى ذلك الصدد الأسلوب أو الهدف الأول ، وهو تفريق القوى المتجمعة إلى مجموعات يسهل التصدى لها ، وهذا ما حدث فى

زمن المنصور ، إذ كان الجيش العباسى مكونًا من عدة أجناس وعصبيات مختلفة [٣٣]، وقد تجمعت فى بعض الأوقات فى قوة واحدة ، ولم يستطع المنصور تفريقهم والتعامل معهم ، بحيث لا يخرجون عليه ويكون ولاؤهم له وحده ، وقد تشاور المنصور فى هذا الأمر مع أحد أقاربه من رجال الدولة وهو (قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس) حيث عرض عليه المنصور هذا الأمر ، قائلًا له : " أما ترى ما نحن فيه من التياث الجند علينا قد خفت أن تجتمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا ، فما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، عندى فى هذا رأى إن أنا أظهرته لك فسد ، وإن تركتنى أمضيته ، صلحت لك خلافتك ، وهابك جندك . فقال له : أفتمضى فى خلافتى أمرًا لا تعلمنى ما هو ! فقال له : إن كنت عندك متهمًا على دولتك فلا تشاورنى ، وإن كنت مأمونًا عليها فدعنى أمضى رأيى " [٣٤] ، فسمح له المنصور بتنفيذ حيلته ، فخرج ذلك الرجل المخضرم ذو الخبرة الطويلة فى تسييس الدول ، من حيث المبادئ والأسس التى قامت عليها أنظمة الحكم آنذاك ، إذ اعتمد فى حيلته على مبدأ العصبية القبلية فى تفريق الجند كل إلى أصله ، وقد بدأ حيلته بأن أحضر أحد عبيده ، واتفق معه أنه فى الغد يذهب ويجلس فى دار الخلافة حتى إذا دخل عليه " قثم " أخذ الغلام فى مساءلته عن أفضل الحيين اليمن أم قبائل مضر ، فإذا بقثم يجيبه بأن مضر أفضل ؛ لأن منها رسول الله وفيها نزل كتاب الله ومنها خرج الخليفة العباسى ، وكان هذا الرد يعلم " قثم " منه أن زعماء اليمن ستغضب منه ، فتظهر بذلك العصبية لكل حى ، وهذا ما أراده بحيلته ، وهو تقسيمهم إلى قبائل وعصبيات ، فلما حدث ما أراده ، دخل على الخليفة المنصور قائلاً له : " قد فرقت بين جندك وجعلتهم أحزابًا كل حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حديثًا فتضربه بالحزب الآخر" [٣٥] .

وبتلك الحيلة الماكرة استطاع المنصور أن يفرق جيشه إلى مجموعات كبيرة ، ولاؤها للخليفة وحده ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تخاف كل فرقة إذا ما غضب على إحداها ضربها بالفرق الأخرى ، كما أن التنافس بينهم على إظهار الولاء إنما يفيد الدولة من حيث استقرارها وتقويتها عسكريًا ، فكل فريق يريد أن يرمز إليه بالقوة والكفاءة العسكرية .

هذا ولم يكن قثم ليقف بحيلته عند حد تفريق الجند إلى مجموعات ، بل زاد دهاؤه ومكره فى إحكام حيلته ، وذلك عندما قال للمنصور: " وقد بقى عليك فى التدبير بقية ، قال ما هى؟ قال: أعبر بابنك فأنزله فى ذلك الجانب قصرًا ، وحوِّله وحوّل (معك) من جيشك معه قومًا فيصير ذلك بلدًا وهذا بلدًا ، فإن فسد عليك أهل هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب ، وإن فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب ، وإن فسدت عليك مضر ضربتها باليمن والربيعة والخراسانية ، وإن فسدت عليك اليمن ضربتها بمن أطاعك من مضر وغيرها ، قال : فقبل أمره ورأيه ، فاستوى له ملكه " [٣٦] .

وفى اللحظات الحرجة من تاريخ الدول ، نجد أن استخدام الحيل أمر ضرورى لا مفر منه ؛ للحفاظ على كيان الدولة وهيبتها ، فى الداخل أو فى الخارج ، فمن بين هذه اللحظات الحرجة : أنه إذا ما توفى حاكم دولة ما ، فإن أمر إذاعة خبر وفاته دون تعيين من يخلفه مباشرة من الأمور ذات الخطورة بمكان ، إذ إن خلو المنصب دون تعيين من يخلف المتوفى إنما يترك الفرصة لكل طامع فى السلطة فى الانقضاض على كرسى الحكم ، وتحدث بذلك الاضطرابات التى تهدد بانهيار هذه الدولة القائمة ، نتيجة تنازع أهلها حول السلطة ؛ لذا كان استخدام الحيل ضرورة سياسية تفرضها الأحداث ، وهذا ما حدث عند وفاة الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، حين توفى فجأة أثناء أدائه شعائر الحج (١٥٨هـ /٧٧٥ م) وكان لهذه الوفاة الفجائية تأثير كبير على بعض

رجال الدولة العباسية ، إذ إنهم ليسوا فى الحاضرة بغداد حتى يجلسوا ابنه المهدى على كرسى الخلافة ، فيفوتون بذلك الفرصة على كل طامع فى عرش الخلافة العباسية ؛ لذا رأى أحد رجال هذه الدولة ، وهو الربيع بن يونس [٣٧] ضرورة إخفاء خبر الوفاة لحين تجديد البيعة للمهدى بأمر من الخليفة المنصور كأنه حى يرزق ، وهدفه من ذلك الحفاظ على أمن الدولة واستقرارها ، فلجأ الربيع إلى حيلة ، مفادها أنه أمر الخدم بأن يعدوا خيمة الخليفة على أكمل ما يكون ، ثم دخل وألبس المنصور خير ثيابه وأقعده قعودًا بمواجهة شرفة الخيمة ، بحيث إذا ما نظر إليه أحد ظن أنه ينظر من تلك الشرفة ، ثم اصطنع الربيع مشهدًا آخر ، وهو أنه وقف على باب الخيمة موهمًا كل من خارجها بأنه إنما يتلقى أوامر من الخليفة المنصور ، وخرج الربيع قائلاً لكبار رجال الدولة ومعاونيها إن الخليفة المنصور يقول لكم : " إنى أحب أن يؤكد الله أمركم ، ويكبت عدوكم ويسر وليكم ، وقد أحببت أن تجددوا بيعة أبى عبد الله المهدى ، لئلا يطمع منكم عدو ولا باغ ، فقال القوم كلهم : وفق أمير المؤمنين ، فبايع القوم كلهم ، فلم يسبق أحد من خاصته والأولياء والرؤساء من مضر إلا بايع المهدى ، ثم دخل وخرج باكيًا مشقوق الجيب لاطمًا رأسه " [٣٨] معلنًا وفاة الخليفة أبى جعفر المنصور وسط دهشة أفراد وأتباع البيت العباسى .

وقد أتت الحيلة التى استخدم فيها الخداع البصرى الهدف المرجو منها وهو أنه قد استقر فى نفس كل واحد من أفراد البيت العباسى أن خليفتهم الجديد المهدى بن المنصور ، وأن الساعات القادمة ما هى إلا لحظات تجرى فيها مراسم الدفن ثم تعود الدولة إلى استقرارها بجلوس خليفة جديد على عرشها ، كما أن تماسك أبناء البيت العباسى قد فوت الفرصة على كل طامع فى العرش ، وذلك بفضل هذه الحيلة التى أكدت البيعة للخليفة المهدى .

ب – الحيـــــل السياســـــية عهـــــد الخليفـــــة محمد المهـــــدى (١٥٨ – ١٦٩ هـ / ٧٧٥ – ٧٨٦ م)

لم يكن عهد ثالث الخلفاء العباسيين محمد المهدى ليمر دون استخدام أسلوب الحيل السياسية ، إلا أنه هذه المرة لم يكن بهدف مصلحة الدولة العباسية ، بل كانت للمصالح الشخصية ، وذلك فيما بين الساسة من كبار رجال الدولة العباسية ؛ إذ جرى عليهم ما يجرى على كل ساسة الدول من التباغض والتحاسد والتنافس واستعلاء بعضهم على بعض ، فكان الانتقام هو المسلك الطبيعى لتلك التصرفات ، غير أن الانتقام تتعدد صوره وتختلف ، وكانت الحيل هى إحدى الوسائل التى استخدمها الساسة العباسيون للتخلص من خصومهم دون أن يصيبهم أذى أو يرمز لهم بالاحتيال فتبطل مؤامراتهم التى أرادوها بخصومهم ، حيث شهد عهد المهدى حيلة سياسية أطاحت بوزير الدولة أبى عبيد الله معاوية بن يسار[٣٩] ، وذلك من جانب الربيع بن يونس الذى شعر باستعلاء الوزير ابن يسار عليه والتقليل من شأنه ومكانته كلما دخل عليه ، فأقسم أن يعزل الوزير عن منصبه وينزله عن مكانته ، وأخذ يبحث عن أفضل الحيل التى يحقق بها هدفه ، فلم يجد إلى ذلك سبيلًا حتى أعجزته الحيلة [٤٠] فأخذ يستشير من حوله ، وكان من بين الذين استشارهم الربيع رجل من أصحاب الوزير يدعى القشيرى ؛ إذ أشار عليه بأن الوزير أبا عبد الله ليس له إلا نقطة ضعف وحيدة وهى ابنه الذى يميل إلى فكر الزنادقة [٤١] وأن الوزير إنما يتستر عليه ، وهذه تهمة فى ذلك العصر تعد من كبرى الجرائم الدينية والسياسية التى أعدّ لها الخليفة المهدى ديوانًا خاصًا يترصد من خلاله الزنادقة ؛ لكى يتخلص منهم .

وعندما علم الربيع بذلك أخذ يشى بوزير الدولة العباسية عند خليفتها المهدى بأن ابن الوزير قد تزندق فأحضره المهدى وأمره بقراءة القرآن ، إلا أنه تلعثم فى القراءة فغضب المهدى وقال لوزيره : " ألم تعلمنى أن

ابنك جامع القرآن ؟ قال أخبرتك يا أمير المؤمنين ولكن فارقنى منذ سنين ، وفى هذه المرة التى يأتى فيها عنى نسى القرآن " [٤٢] ، فأمره المهدى بقتله تقربًا إلى الله منه ، ولم يستطع الوزير قتل ابنه فأمر المهدى أحد رجاله بقتل الابن ، وعندئذ أراد الربيع أن يكمل حيلته بإخراج الوزير من منصبه فقال للمهدى " قتلت ابنه وليس ينبغى أن يكون معك ، ولا أن تأنس به " فأوحش المهدى وكان الذى كان من أمره وبلغ الربيع ما أراد ، واستشفى وزاد [٤٣] .

ج – الخليفة هارون الرشيد وحيل عصره (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٩ م)

اتسم عصر الخليفة هارون الرشيد بالقوة والازدهار والفتوحات العسكرية ، وعلى الرغم من ازدهار عهده قد ورث معه مشكلة الصراع مع آل البيت العلوى الذى تجدد هذه المرة فى بلاد المغرب ، حيث نجح بعض أفراد البيت العلوى خاصة الفرع الزيدى [٤٤] فى تأسيس دولة لهم تحت اسم دولة الأدارسة نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبد الله ، ونظرًا للنجاحات التى حققتها الدولة الإدريسية فى بلاد المغرب والتى شكلت خطرًا على القسم الغربى من الخلافة العباسية أخذ هارون الرشيد يتباحث فى أمر تلك الدولة الناشئة من أجل القضاء عليها ، وكان هناك عدة خيارات منها إرسال جيش إلى المغرب للقضاء على إدريس بن عبد الله ، غير أن هذا المقترح قد رفض ؛ نظرًا لبعد المسافات ما بين العراق والمغرب ، وكان ثانى تلك المقترحات هو استخدام الحيل التى من شأنها تجنيب الخلافة خسائر فى الوقت والجهد والمال ، فى حين تحقق المكسب المرجو منها، وهو اغتيال إدريس بن عبد الله حتى إذا ما حدث ذلك انهارت الدولة لقلة معاونيه ، وعادت بلاد المغرب إلى حظيرة الخلافة العباسية .

وهذه الحيلة حتى تستعمل لابد من ادخال عنصر المخادعة لإدريس ، وذلك بأن يبعث الخليفة هارون الرشيد إليه رجلا تتوفر فيه صفات الذكاء والمكر والدهاء مع البلاغة والجرأة ليغتاله ، ووقع الاختيار على سليمان بن جرير [٤٥] وقيل سليمان بن جدير[٤٦] وقيل سليمان بن جديز [٤٧] ويعرف بالشماخ [٤٨] ، وكان هذا الرجل من أهل الشجاعة والدهاء والفصاحة ، فأعلم بالمهمة الموكلة إليه ، التى جزاؤها رفعة المنزلة والصلات السنية ، مع إمداده بأموال جزيلة وتحف مستطرفة مما يحتاج إليه وإمداده أيضًا بقارورة فيها غالية مسمومة ثم وجّه معه رجلا يثق به وبشجاعته ، فانطلق سليمان مع صاحبه من بغداد ، وهو يتظاهر بالطب ، ومازال يجدّ فى السفر حتى وصل إلى وليله [٤٩] ، فاتصل بإدريس فسأله اسمه ونسبه ووطنه وسبب قدومه إلى المغرب ، فذكر له أنه من بعض موالى أبيه وأنه اتصل به خبره ، فأتاه برسم خدمته بسبب محبته لأهل البيت ، فأنس إليه إدريس وسر به ، إذ كان فى هذا البلد البربرى يحن إلى مجالسة العرب ومحادثتهم .

وكان سليمان هذا قد أبدى من العلم والبلاغة والأدب والجدال ما جعل إدريس يرفعه إلى منزلة عالية [٥٠] ، وأخذ سليمان يترصد فرصة لاغتيال إدريس بالسم ، فلم يتهيأ له ذلك ، إذ كان راشد خادم إدريس [٥١] لا يزايله ولا يفارقه ، وظل سليمان منتظرًا إلى أن واتته الفرصة أخيرًا بغياب راشد ذات يوم فى بعض شئونه ، فدخل سليمان بن جرير على المولى إدريس فألفاه وحده ، عندئذ شعر بأن الفرصة قد واتته لتنفيذ مهمته باغتيال الإمام إدريس ، وقد تراوحت الروايات حول طريقة الاغتيال ، فالسم الذى اغتيل به (قيل استنشقه فمات نتيجة دخول السم فى أنفه ، وقيل أيضًا إن السم قد وضعه إدريس فى أسنانه نتيجة لمرض أصابه ، حيث أشار عليه سليمان بذلك) .

وأيًا ما كانت طريقة تنفيذ المهمة فأنها لم تؤت الثمار المرجوة منها وهى القضاء على الدولة الإدريسية ، فكل ما نتج عن تلك الحيلة هو اغتيال مؤسس الدولة إدريس ابن عبد الله الذى توفى عن جنين له في بطن أمه ، فاتفق رجال الدولة الإدريسية أن يضعوه على عرش أبيه بمجرد ولادته تحت مجلس للوصاية بقيادة راشد خادم أبيه .

ومن الصراع السياسى حول مسألة الحكم والخلافة إلى الفساد الإدارى وما به من حيل استخدمتها الخلافة العباسية لاقتلاع ذلك الفساد دونما خسائر تذكر ؛ إذ شهد عصر الخليفة الرشيد فساد بعض المسئولين إداريًا ، حيث أساءوا السيرة متجنين على الرعية فى قبض أموالهم وإهدار حقوقهم ، ومن أمثال هؤلاء الفاسدين " علي بن عيسى بن ماهان " [٥٢] والى إقليم خراسان الذى تذمرت الرعية من سياسته المجحفة ، وقد رفعت إلى الرشيد تقارير تفيد بسوء سيرته فى الحكم ، وهو ما أغضب الرشيد فأصدر قراره بإقالة هذا العامل الفاسد مكلفًا قائده هرثمة بن أعين [٥٣] بتنفيذ مهمة القبض على ابن ماهان وجميع أبنائه ومعاونيه ومصادرة أموالهم وتقديمهم إلى القضاء ؛ لأخذ الرعية القصاص منهم تطييبًا لقلوبهم ، وامتثل القائد هرثمة لأمر الخليفة فبنى خطة إقالة ابن ماهان على حيلة جاءت محاورها على النحو التالى :-

أولًا : إضفاء السرية المطلقة على المهمة والهدف منها .

ثانيًا : تعيين بعض ذوى الخبرة فى الحكم والإدارة وإرسالهم سرًا إلى نواحى وضواحى خراسان ، وألا يعلنوا خبر تعيينهم إلا بعد إشارة القائد هرثمة لهم .

ثالثًا: تقسيم القائد هرثمة رجاله إلى مجموعات وكلف كل مجموعة بالقبض على أبناء ومعاونى علي بن عيسى بن ماهان فى وقت واحد ، وذلك حتى لا يفروا إذا ما علموا بالقبض على كبيرهم ابن ماهان .

رابعًا : إظهار أعلى معانى التبجيل والاحترام واستخدام أسلوب الملاطفة والتقدير من جانب القائد هرثمة إلى علي بن عيسى ، وذلك حتى يدخل عليه الطمأنينة فلا يحطاط لأمره ، حيث بدأ القائد هرثمة فى إرسال بعض الهدايا إلى ابن ماهان موهمًا إياه أنه لم يأت إليه إلا لتقديم بعض الأموال من الخليفة طالبًا منه إرسال رجاله لقبضها ، وقد أوعز هرثمة إلى رجاله بأن يشغلوا معاونى ابن ماهان حتى لا يتسلموا المال ، وعند لقاء الرجلين تجلت أعلى مراتب التقدير من جانب هرثمة محتالا على ابن ماهان بأنه هو الأمير وأن هرثمة هو الوزير ، وبمجرد أن شعر القائد هرثمة بأن ابن ماهان قد اطمأن له حتى أظهر له أمر عزله مصدرًا أوامره بالقبض عليه وجميع أبنائه ومعاونيه فى هدوء تام ، وأعلن القائد هرثمة نفسه أميرًا على خراسان من قبل الخلافة فى المسجد الجامع طالبًا من الرعية أنه من لديه حق لدى ابن ماهان واليهم المعزول فليتقدم لأخذ القصاص منه .

وبهذه الحيلة المبتكرة من القائد هرثمة بن أعين تمكن من إنجاز مهمته المكلف بها على خير وجه ، وأعجب الرشيد بحيله القائمة على الحنكة السياسية والإدارية فى معالجة المشكلات دونما خسائر [٥٤] .

وبهذا الحرص المعهود عن الخليفة هارون الرشيد فى المحافظة على دولته نراه يبذل كل جهده فى تجنب الدولة المشكلات التى عانت منها فيما سبق وذلك على جميع المستويات سواء الخاصة منها أو العامة ولعل أهم المشكلات الخاصة هى ولاية العهد والتى عانى منها هارون الرشيد أثناء ولاية عهده لأخيه الهادى ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م فأراد الرشيد أن يجنب أبناءه من بعده خطر الوقوع فى تلك الأزمة السياسية التى تمس أمن الدولة العباسية واستقرارها ؛ لذا أقدم على تقسيم الدولة بين أولاده الثلاثة ، وذلك فى عقد كتبه لهم وعهد أخذه عليهم . ولعل أهم شروط هذا العقد : أن يلى ابنه الأكبر محمد الأمين الخلافة من بعده ، فى حين

يلى ابنه الثانى (عبد الله المأمون) ولاية عهد أخيه الأمين ، كذلك جعل لعبد الله المأمون ملكًا لا ينازعه فيه أحد يبدأ من خراسان وما يليها شرقًا ، وهذان الشرطان هما أهم ما يميز العقد ، وقد اشترط هارون الرشيد عليهما شرطًا يخص محمدًا الأمين أنه إذا أخل بأحدهما فإن خلافته تكون غير شرعية ويكون الخليفة الشرعى فى ذلك الوقت هو عبد الله المأمون [٥٥] .

د – الخليفة محمد الأمين والحيل السياسية خلال عهده (١٩٣ – ١٩٨ هـ / ٨٠٩ – ٨١٣ م)

تولى محمد الأمين عرش الخلافة العباسية ، وقد كان عازمًا على إنفاذ عهد أبيه لأخيه عبد الله المأمون ، إلا أن الفضل بن الربيع وزير الأمين قد خشى على نفسه إنه إذا ما تولى المأمون عرش الخلافة العباسية بعد أخيه الأمين فإنه لن يبقي عليه ؛ لذا أوعز للخليفة الأمين بأن يجبر أخاه المأمون على التنازل عن ولاية العهد وأخذ البيعة لابنه (موسى) الذى لقبه بالناطق بالحق ، كما أوعز إليه بأن يطلب من أخيه بعض المناطق التى تحت سيطرته ، وبطبيعة الحال جاء الرفض من جانب المأمون لكل مطالب أخيه الخليفة ؛ نظرًا لشروط العقد التى أبرمها لهما الرشيد ، وأمام ذلك الموقف الرافض من جانب المأمون نرى أن الأمين أراد أن يستخدم الوسائل السلمية أولًا قبل استخدام القوة ؛ لإجبار أخيه على التنازل عن ولاية العهد ، فأخذ يستشير رجال دولته فأشاروا عليه باستعمال الحيل من أجل تجنيب الدولة الانقسام ، وقد قدمت للخليفة الأمين عدد من الحيل التى رفضها والتى من بينها العمل على تفريغ قوة المأمون تدريجيًا ، وذلك عن طريق استدعاء القادة والجند على فترات ، مع تقديم الهدايا لرجالات المأمون الذين يثق فيهم ؛ لينفضوا من حوله ، حتى إذا ما وجد المأمون أن قوته قد استنفدت تدريجيًا شعر بضعفه أمام قوة أخيه وأنه لا

مجال لمقاومته ، وحينئذٍ يستدعيه الأمين إلى مقر خلافته ، فيجبر المأمون على التنازل عن ولاية العهد[٥٦] .

وقد رفض الأمين قبول هذه الحيلة ؛ لأن تنفيذها سيستغرق الوقت والجهد والمال الكثير ، إلا أن الأمين أعاد طلب المشورة من رجال دولته فأشاروا عليه باستعمال المخادعة واستخدام أسلوب الملاطفة للمأمون ، وذلك بأن يستدعيه إلى حاضرة الخلافة العباسية بغداد من أجل المؤانسة والمؤازرة والتقوية به فى مجابهة مشكلات الخلافة ، ووافق الأمين على تنفيذ هذه الخدعة فكتب إلى أخيه بها خطابًا وأرفق معه رجالًا يدعمون تلك الخدعة ويعظمونها فى عين المأمون ويقطعون بها كل شك لديه من أخيه الأمين ، غير أن المأمون لم يكن بالرجل الذى تنطوى عليه تلك الخدعة فكتب إلى أخيه الأمين معتذرًا بأن أوضاع خراسان تستدعى عدم مغادرتها ؛ ولذا فإن إبقاءه فيما استخلفه عليه الرشيد هو أفضل للخلافة بتأمين حدودها الشرقية [٥٧] ، فلما وصل إلى الأمين خطاب أخيه لم يكن أمامه غير استخدام القوة فأرسل إليه الجيوش التى كانت تُمنى بالهزائم فى كل مرة إلى أن دخلت جيوش المأمون الحاضرة بغداد عام " ١٩٨هـ-٨١٦ م " حيث قتل الخليفة الأمين .

هـ - الخليفة عبد الله المأمون وأهم حيل عصره (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)

تولى عبد الله المأمون عرش الخلافة العباسية خلفًا لأخيه الأمين ، وقد حاول عدم الوقوع فى الأخطاء التى وقع فيها أخوه ، وذلك باختيار أفضل المساعدين حتى يعاونوه فى حكم الدولة ، وكانت أسرة طاهر بن الحسين [٥٨] من أفضل الأسر التى ساعدت الخليفة المأمون فى الحكم والإدارة ، وطاهر هذا هو الذى قاد جيوش المأمون ضد أخيه الأمين ، ثم جاء أولاده ليكملوا مسيرة أبيهم فى توطيد الحكم واستتباب أمن دولة المأمون ، وكان عبد الله بن طاهر من بين الذين اختارهم المأمون فى

الحكم والإدارة ، حيث ولاّه على مصر والشام والجزيرة ، واتخذ من مصر مقرا لإدارة ولايته ، بيد أن نجاح عبد الله بن طاهر فى الإدارة قد نسج حوله كثيرًا من الشائعات بأنه يميل إلى الشيعة العلويين .

وعلى الرغم من استنكار المأمون لتلك الشائعة ورفضه لها لثقته بعبد الله بن طاهر ، فإن الضغط عليه قد أجبره على الاستوثاق من ولاء عبد الله بن طاهر له ، فعمد إلى اصطناع حيلة مفادها أنه تخير أحد الرجال ممن لديهم علم بأحوال الشيعة حتى يذهب إلى عبد الله بن طاهر بمصر ويدعوه إلى مبايعة القاسم بن إبراهيم بن طباطبا بعد أن يزين له صفاته وميزاته ويرغّبه فى خلع المأمون ، وقد فعل الرجل ما أمره به المأمون ، وعندما التقى مع عبد الله بن طاهر دار بينهما نقاش أنكر فيه ابن طاهر على هذا المخادع المتحايل دعوته وأعلمه بأنه لن ينقض عهده للمأمون ولن يخلعه ، كما أعطاه فرصة للإبقاء على حياته والخروج من مصر قبل أن يعلم به المأمون [٥٩] .

خرج هذا الرجل المصطنع فى أفعاله وأفكاره حاملا نتيجة حيلته إلى الخليفة المأمون ، فتثبت الخليفة من صحة رأيه فى رجاله ، كما استبشر وقال " وذلك غرس يدى وإلف أدبى وتُرب تلقيحى " [٦٠] .

هذه كانت أهم الحيل والمخادعات السياسية التى استخدمت خلال العصر العباسى الأول الذى امتاز بالقوة والازدهار ، إذ إن العصور التالية ستشهد صراعات سياسية أكبر من هذه الصراعات .

خاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث المتواضع فى الحيل والخدع السياسية خلال العصر العباسى الأول خرج الباحث بعدد من النتائج ، وهى على النحو التالى :

أولاً : أن الخدعة مشروعةٌ فى الإسلام ، شهد بذلك الكتاب والسنة وأفعال الصحابة .

ثانيًا : أن السياسة مثلها مثل باقى الأنشطة الإنسانية التى تستخدم فيها الحيل والمخادعات ، بقطع النظر عن النتيجة من استخدامها ، سواء أكانت إيجابية تخدم المصلحة العامة أم سلبية تخدم المصلحة الخاصة التى يعود الضرر منها على العامة .

ثالثًا : أن الخلافة العباسية مثلها مثل باقى الدول قد استخدمت الحيل والمخادعات ، وربما يتساءل أحد عن خلفاء وساسة تلك الدولة وما اشتهروا به من قدر وقيمة فى الدين والدنيا ، إلا أنه فى نهاية الأمر يظلون فى خانة البشر الذين يلجأون إلى تحقيق مكاسبهم الخاصة منها والعامة .

رابعًا : أن البحث قد ذكر عددًا من الحيل والمخادعات التى استعملت وقت المعارك والحروب ، مع الإشارة إلى أن هذه الحيل والمخادعات لم تكن لتظهر وقت الحرب إلا لتحريك الموقف الذى تأزم بين اللاسلم واللاحرب ، فيلجأ الطرفان إلى المشاورات السياسية بين معاقل الحروب ، وذلك لخروج كل منهما بأقل الخسائر دون هزيمة منكرة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

١- ابن الأثير الشيخ العلامة عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى : **الكامل فى التاريخ** ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م ، جـ ٣ .

٢- الأشعرى : أبو الحسن علي إسماعيل : **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، جـ١.

٣- البكرى : أبو عبد الله : **المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب** – وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، نشر دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة .

٤- الجهشيارى : محمد بن عبدوس : **الوزراء والكتاب** ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ط١ .

٥- الحافظ العسقلانى : أحمد بن على بن حجر : هدى السارى ، **مقدمة فتح البارى** ، المطبعة السلفية ، (د . ت).

٦- ابن أبى الحديد المعتزلى : **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق : محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربى ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧ م ، ط١ ، ج١ .

٧- ابن حزم : **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** ، تحقيق : عبد الرحمن خليفة ، ج٢.

٨- ابن الخطيب : **لسان الدين بن الخطيب** : أعمال الأعلام – القسم الثالث المعروف تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط ، تحقيق : أحمد مختار العبادى ، محمد إبراهيم الكتانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م .

٩- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م ، الجزء الخامس.

١٠- الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : س**ير أعلام النبلاء** ، تحقيق : محب الدين العمروى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، ط١ ، ج٧ .

١١- الراغب الأصفهانى : **مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق : عدنان داوودى ، دار القلم ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

١٢- الشهرستانى : **الملل والنحل** ، تحقيق / عبد اللطيف محمد العبد

١٣- ابن طباطبا : محمد بن على : **الفخرى فى الآداب السلطانية** ، منشورات دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٦ م .

١٤- الطبرى : أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى : **تاريخ الرسل والملو**ك : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، د. ت ، ط ع ، جـ ٣ .

١٥- ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشى : **البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق : ج.س كولان ، ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

١٦- ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى : **شذرات الذهب فى أخبار من ذهب** ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ، ج١ .

١٧- الفيروزآبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب : **القاموس المحيط** ، دار الجيل ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج٣ .

١٨- ابن كثير : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى : **البداية والنهاية** ، تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ط١ ، جـ٧ .

١٩- ابن منظور : **لسان العرب** ، **تحقيق** : عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلى ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) ، م٢ .

٢٠- المعجم الوسيط ، قام بإخراج هذه الطبعة إبراهيم أنيس ورفاقه ، ط٢ ، (د . ت) ، ج١ .

٢١- ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى : **السيرة النبوية لابن هشام** ، تحقيق : محمد فهمى السرجانى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ت) ، ج١ .

٢٢-الإمام محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد** ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

٢٣- المسعودى : أبو الحسن بن الحسين المسعودى : **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: تحقيق وتعليق سعيد بن اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ج٣ .

٢٤- المكناسى : أحمد بن القاضى : **جذوة الاقتباس فى ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٣ م .

٢٥- مؤلف مجهول : **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده** : تحقيق : عبد العزيز الدورى ، عبد الجبار المطلبى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م ، ط٢ .

٢٦- النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى : **فرق الشيعة** ، صححه وعلّق عليه محمد صادق آل بحر العلوم ، طبع بالمطبعة العبدرية ، النجف سنة ١٣٥٥ هـ –١٩٣٦ م .

٢٧- النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن الدائم القرشى : **نهاية الأرب فى فنون الأدب** ، تحقيق : حسين نصار ، مراجعة : عبد العزيز الأهوانى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، ج ٢٢ .

٢٨- الورغمى : المختصر الشامل ، باب الإمامة ، تحقيق : سعد غراب ، **حوليات الجامعة التونسية** ، عدد ٩ ، ذ٩٧٢ م .

ثانيًا : المراجع العربية

٢٩- إبراهيم أيوب : **التاريخ العباسى السياسى والحضارى** : دار الكتاب العالمى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ ، ط١ .

٣٠- إبراهيم سلمان الكروى : **نظام الوزارة فى العصر العباسى الأول** ، شركة كاظمة للنشر والترجمة ، الكويت ، ١٩٨٣ م ، ط١ .

٣١- أحمد شلبى : **التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية** ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ط٣ ، ج٣ .

٣٢- أحمد مختار العبادى : **فى التاريخ العباسى والفاطمى** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ م .

٣٣- بطرس البستانى : **محيط المحيط** : مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

٣٤- الصاحب إسماعيل بن عباد : **نصرة مذاهب الزيدية** ، بغداد ، ١٩٧٧ م .

٣٥- جوزيف نسيم يوسف : **العرب والروم واللاتين فى الحروب الصليبية الأولى** ، دار الفكر الجامعى ، الإسكندرية ، ط٢ .

٣٦- حمدى عبد المنعم محمد : **الدولة العباسية** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ٢٠٠٧م .

٣٧- خالد محمد عطوة : **الخداع فى الحرب** ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ، غزة .

٣٨- سعيد عبد الفتاح عاشور : **الحركة الصليبية** ، مكتبة الأنجلو الصليبية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ط٧ ، ج١.

٣٩- سميرة مختار الليثى : **جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول** ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م .

٤٠- السيد عبد العزيز سالم : **العصر العباسى الأول** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

٤١- ضياء الدين الريس : **الخراج فى الدولة الإسلامية** ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ط١ .

٤٢- عباس العزاوى : **تاريخ الضرائب العراقية من صدر الإسلام** إلى آخر العهد العثمانى ، بغداد ، ١٩٥٨ م .

٤٣- فاروق عمر فوزى : **الجيش والسياسة فى العصر الأموى ومطلع العصر العباسى ٤١ هـ - ٦٦١ م / ٣٣٤ هـ _ ٩٥٦ م** دراسة تاريخية ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م ، ط١ .

٤٤- محمد أمحزون : **تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة** ، دار السلام ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ط١ .

٤٥- محمد منير حجاب : **الشائعات وطرق مواجهتها** ، دار الفجر ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ط١.

٤٦- محمد عبد الحفيظ المناصير : **الجيش فى العصر العباسى الأول ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ** ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ، ط١ .

٤٧-محمود سعيد عمران : **تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ – ١٢٩١ م** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٨ م .

٤٨-نبيلة حسن محمد : فى **تاريخ الدولة العباسية** ، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، ١٩٩١م.

الحواشى

[١] لمزيد من المعلومات عن الخداع الدينى الذى مارسه رجال الدين والحكم داخل أوروبا لجموع الصليبيين الذين تحمسوا لغزو الشرق باسم الدين راجع : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحروب الصليبية الأولى ، دار الفكر الجامعى ، الإسكندرية ، ط٢ ، صـ ٤٣ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو الصليبية ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ط٧ ، ج١ ، صـ ٢٥ وما بعدها ؛ محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية ١٠٩٥ – ١٢٩١ م ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٨ م ، صـ ١٨ .

[٢] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى : القاموس المحيط ، دار الجيل ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د . ت) ، ج٣ ، ص ٣٧٤ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلى ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ت) ، م٢ ، ص ١٠٧٣ ؛ المعجم الوسيط ، قام بإخراج هذه الطبعة إبراهيم أنيس ورفاقه ، ط٢ ، (د . ت) ، ج١ ، ص ٢٠٩

[٣] بطرس البستانى : محيط المحيط : مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ص ٢١٩ ؛ خالد محمد عطوة : الخداع فى الحرب ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية ، غزة ، ص ٢١ .

[٤] الراغب الأصفهانى : مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : عدنان داوودى ، دار القلم ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٧

[٥] ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى : السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : محمد فهمى السرجانى ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ت) ، ج١ ، ص ٥١ .

[٦] ابن هشام : نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٥ .

[٧] لمزيد من المعلومات عن غزوة الخندق (الأحزاب) راجع الطبرى : أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، د. ت ، ط ع ، جـ ٣ ، صـ ٥٦٤ ؛ ابن الأثير : الشيخ العلامة عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى : الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩ م ، جـ ٣ ، صـ ١٧٨ .

[٨] عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء ، وهو يهودي من صنعاء أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفان ، واشتهر أكثر من غيره لأنه أسلم متأخرًا ، وظهر له نشاط ملحوظ في الشام والعراق ومصر خاصة ، كما ظهر مع الخارجين والناقمين ، يرسم خططًا ويدلي بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين القدامى في كتبهم ، وعلى رأسهم الإمام الطبري ، الذي عده رأس الفتنة وأساس البلاء . ولمزيد من المعلومات عن عبد الله بن سبأ وجماعته المعروفة بالسبئية راجع : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٤ ، ص٣٤٠-٣٤١ ؛ أبو الحسن علي إسماعيل الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،جـ١ ، ص٨٦ ؛ ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، جـ٧ ، ص٤٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ،

ص١١٤– ١٤٧ ؛ ابن كثير : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى : البداية والنهاية ، تحقيق : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ط١ ، جـ٧ ، ص١٦٧– ١٦٨ ؛ محمد أمحزون : تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة ، دار السلام ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥ ، ط١ ، ص٢١٣ وما بعدها.

[٩] الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٤ ، ص ٣٤١ .

[١٠] الطبرى : نفسه ، ج٤ ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

[١١] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٧ ، ص ١٧٥ .

[١٢] ابن كثير : نفسه ، ص ١٩٥ .

[١٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص ٣٥٥ .

[١٤] الطبرى : نفسه ، ج٥ ، صـ ٧٧ .

[١٥] والخوارج هم فى الأصل : القرّاء و يعود مصطلح القراء إلى عهد النبي ρ ، وخاصة فى السنة الثالثة للهجرة ، وذلك عندما بعث النبي ρ سبعين رجلاً من حاملى القرآن ، وكانت كنيتهم " القراء " إلى رعلاً وذكوان وعصية وبنى لحيان ، وقد استمر ذلك المصطلح في عهد الخلافة الراشدة ، وخاصة فى عهدي أبى بكر وعمر ، ومن الملاحظ أن مفهوم القراء فى البداية كان يعنى من يقرأ القرآن ويحفظه ، ويفقه معانيه . ويتدبر آياته ، ويتأدب بأخلاقه . لكن ما لبث أن انحرف مفهوم " القراء " عن مدلوله الأصلى ، فأخذ يكتسى طابعًا يسوده عدم الفقه ، والأخذ بظواهر النصوص ، والتصلب فى الرأى ، والغلو والتشدد فى الدين ، حتى أننا لا نستغرب عندما نجد في مصادرنا التاريخية والحديثية المبكرة أن المقصود بالقرّاء هم الذين أسهموا في تأليب الناس في الكوفة على الخليفة عثمان رضي الله عنه ، واشتركوا في معركة صفين ، فرفضوا التحكيم ، وصاروا خوارج فيما بعد ، يعيثون في الأرض فسادًا ، يقتلون وينهبون أموال المسلمين مستحلين لها بزعم أن من خالفهم ليس بمسلم .

ومنذ ذلك الحين اختفى مصطلح القرّاء ، وظهر مصطلح الخوارج مصطلحًا سياسيًا أكثر منه دينيًا ، وقد عرف الكثير من المؤرخين الخوارج مثل " ابن حزم " فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وشاركهم فى معتقداتهم ، فقد قال : " ومن وافق الخوارج فى أفكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبائر مخلدون فى النار ، وأن الإمامة جائزة فى غير قريش ، فهو خارجى ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا " وأما " الشهرستانى " فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخوارج على الإمام الذى اجتمعت عليه الكلمة على إمامته الشرعية خروجًا فى أى زمان كان ، حيث قال فى تعريفه للخروج " كل من خرج على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان " .

وقال " ابن حجر " معرفًا لهم " أما الخوارج فهم جمع خارجة ، أى طائفة ، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين ، وخروجهم على خيار المسلمين " .

ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، تحقيق / عبد الرحمن خليفة ، ج٢ ، ص ١١٣ ؛ الشهرستانى : الملل والنحل ، تحقيق / عبد اللطيف محمد العبد ، ص ١١٨ ؛ الحافظ بن حجر العسقلانى : أحمد بن على بن حجر : هدى السارى ، مقدمة فتح البارى ، المطبعة السلفية ، (د . ت) ، ص ٤٥٩.

[١٦] المهلب بن أبى صفرة الأزدى وكنيته أبو سعيد ، هو من ولاة الأمويين على خراسان ، عينه الحجاج عاملا على خراسان عام (٧٨ هـ / ٦٩٧ م) وقام بفتوح واسعة فيما وراء بلاد النهر فقد قاد المهلب حملة استولى من خلالها على إقليم " الصغد " وغزا " خوارزم " وافتتح جرجان وطبرستان بذلك فرض سيطرة الدولة الأموية على أراضى كثيرة فيما وراء النهر وكان لها أكبر الأثر فى إثراء الحضارة الإسلامية . ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م ، (٥ / ٣٥٠ – ٣٥١) ، الكامل للمبرد (٣ / ١٨٥) ، أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ت . ١٠٨٩ هـ : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م ، (١ / ٩١) .

[١٧] وهم أتباع نافع بن الأزرق الذى كان من بنى حنيفة وكانوا أقوى الخوارج شكيمة وأكثرهم عددًا وأعزهم نفرا ، وهم الذين تلقوا الصدمات الأولى من ابن الزبير والأمويين ، وقد قاتل الخوارج بقيادة نافع قواد عبد الله الزبير ، وقواد الأمويين تسع عشرة سنة ، وقد قتل نافع فى ميدان القتال ، ثم تولى بعده نافع بن عبيد الله ، ثم قطرى بن الفجاءة ، وفى عهد قطرى كان الذى يحارب الخوارج من الأمويين داهية قوادهم المهلب بن أبى صفرة ، فكان قبل الواقعة التى يتقدم إليها يثير خلافهم ، فتحتدم المناقشة بينهم احتدامًا شديدًا ، ثم يلقاهم وهم على هذا الخلاف ، ولذا أخذ شأن الخوارج يضعف فى عهد قطرى هذا ، لاختلافهم فرقًا من جهة ، ولأثر هذا الاختلاف فى مواقفهم فى ميدان القتال من جهة ثانية ، وتألب المسلمين عليهم من جهة ثالثة ، وغلظتهم فى معاملة مخالفيهم من جهة رابعة ، وقد توالت هزائمهم على يد المهلب ومن جاء بعده من قواد الأمويين حتى انتهى أمرهم . الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ص ٧١ .

[١٨] قطرى بن الفجاءة بن يزيد بن زياد المازنى التميمى (ت . ٧٨ وقيل ٧٩ هـ / ٦٩٧ م) وكانت كنيته أبا نعامة (ونعامة فرسه) من رؤساء الأزارقة وأبطالهم ، كان خطيبًا بليغًا فصيحًا وفارسًا شجاعًا شاعرًا ، استفحل أمره فى زمن مصعب بن الزبير ، لما ولى العراق فى خلافة أخيه عبد الله بن الزبير . وبقى قطرى ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلمّ عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين ، والحجاج بن يوسف يسير إليه جيشًا بعد جيش ، وهو يردهم ويظهر عليهم ، ولم يزل الحال بينهم كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبى ، فظفر عليه وقتله فى سنة ٧٨ هـ ، وكان المباشر لقتله سورة بن أبجر البارقى ، وقيل إن قتله كان بطبرستان فى سنة ٧٩ هـ ، وقيل عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات ، فأخذ رأسه فجيء به إلى الحجاج . وحكى عنه أنه خرج فى بعض حروبه وهو على فرس أعجف وبيده عمود خشب فدعا إلى المبارزة فبرز إليه رجل فحسر له قطرى عن وجهه فلما رآه الرجل ولى عنه ، فقال له قطرى : إلى أين ، فقال : لا يستحيى الإنسان أن يفر منك . وقد قيل : إن اسمه جعونة وإن قولهم قطرى ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان ، وهو اسم بلد كان منه ، فنسب إليه ، وقيل إنه هو قصبة عمان ، والقصبة كرسى الكورة ، واسم أبيه مازن ، وإنما قيل له الفجاءة ؛ لأنه كان باليمن ، فقدم على أهله فجاءة ، فسمى به وبقى عليه . وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٩٣ .

[١٩] ابن أبى الحديد المعتزلى : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربى ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧ م ، ط١ ، ج١ ، ص ٤٠١ .

[٢٠] ابن أبى الحديد : نفسه ، ج١ ، ٤٠١ .

[٢١] الإمام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية : سُمى بابن الحنفية ؛ لأن أمه خولة بنت قيس بن جعفر ، كانت من عرب بنى حنيفة ، وهم فرع من بكر بن وائل العدنانية ، وكانت منازل بنى حنيف فى اليمامة ، وأبو هاشم عبد الله هذا هو ابن الإمام محمد بن على بن أبى طالب الذى ادعت فرقة الكيسانية الشيعية المتطرفة أنه هو الإمام المهدى المنتظر ، فلما مات بالمدينة فى محرم سنة ٨١ هـ قالوا إنه لم يمت وإنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة ، وإنه الإمام المنتظر الذى بشر به النبى (ص) ، وأنه الذى سيملأ الأرض عدلًا وقسطًا ، ولكن هناك فرقة أخرى قالت إن محمد بن الحنفية مات وإن الإمام بعده ابنه عبد الله ، ويكنى أبا هاشم الذى ادعت عنه الرواة العباسية أنه قد تنازل لمحمد بن على بن عبد الله بن العباس عن الخلافة . ينظر : النوبختى : أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى ؛ ت ٣١٠ هـ ، فرق الشيعة ، صححه وعلّق عليه محمد صادق آل بحر العلوم ، طبع بالمطبعة العبدرية ، النجف سنة ١٣٥٥ هـ -١٩٣٦ م ، صـ ٢٣ ،٢٦ ،٣٠ ، ٤٠ ؛ أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ م ، صـ ١٩ ؛ نبيلة حسن محمد : فى تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩١ م ، صـ ٦٢ . عن نص تنازل ابن الحنفية لمحمد بن على بن عبد الله بن العباسى يراجع : مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده : تحقيق : عبد العزيز الدورى ، عبد الجبار المطلبى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م ، ط٢ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ؛ النويرى : شهاب

الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن الدائم القرشى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق : حسين نصار ، مراجعة : عبد العزيز الأهوانى ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ج ٢٢ ، صـ١١ .

[٢٢] النفس الزكية : هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه . المسعودى : أبو الحسن بن الحسين المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر: تحقيق وتعليق سعيد بن اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ج٣ ، ص ٣٠٧

[٢٣] الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٧ ، ص ٥٥١ .

٢٤ الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٧ ، ص٥٥٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص ١١٢ .

[٢٥] عن ثورة النفس الزكية عام ١٤٥ هـ راجع : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، صـ ٥٢٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، صـ ٦٢٧ ؛ العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، صـ ٢٨ ؛ سميرة مختار الليثى : جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م ، صـ ١١١ ؛ نبيلة حسن محمد : فى تاريخ الدولة العباسية ، صـ ١٠٠ .

[٢٦] إبراهيم أيوب : التاريخ العباسى السياسى والحضارى : دار الكتاب العالمى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩ ، ط١ ، ص ٣٣ .

[٢٧] ابن طباطبا : محمد بن على : الفخرى فى الآداب السلطانية ، منشورات دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٦ م ، ص ١٦٨ ؛ حمدى عبد المنعم محمد : الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م ، ص ٤٩ .

[٢٨] الطبرى : تاريخ الرسل ، ج ٨ ، صـ ٧ وما بعدها .

[٢٩] الطبرى : نفسه ، ج٨ ، صـ ١٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، صـ ١٤٩ .

[٣٠] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ١٢ ؛ حمدى عبد المنعم : الدولة العباسية ، ص ٨١ .

[٣١] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ١١ .

[٣٢] محمد منير حجاب : الشائعات وطرق مواجهتها ، دار الفجر ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ط١، ص ٢٠ .

[٣٣] لمزيد من المعلومات عن عناصر الجيش العباسى وتكويناته يمكن الرجوع إلى فاروق عمر فوزى : الجيش والسياسة فى العصر الأموى ومطلع العصر العباسى ٤١ هـ - ٦٦١ م / ٣٣٤ هـ _ ٩٥٦ م دراسة تاريخية ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م ، ط١ ، ص ١٠٠ ؛ محمد عبد الحفيظ المناصير : الجيش فى العصر العباسى الأول ١٣٢ هـ - ٢٣٢ هـ ، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م ، ط١ ، ص ٩٢ .

[٣٤] الطبرى : تاريخ الرسل ، ج ٨ ، صـ ٣٧ .

[٣٥] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ٣٨ .

[٣٦] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ٣٩ ؛ فاروق عمر فوزى : الجيش والسياسة ، ص ١٠٨ .

[٣٧] الربيع بن يونس : الوزير الحاجب الكبير أبو الفضل الأموى من موالى عثمان رضى الله عنه حجب للمنصور ثم وزر له بعد أبى أيوب المورياني ، وكان من نبلاء الرجال وألبائهم وفضلائهم قال له المنصور : ما أطيب الدنيا لولا الموت ، قال يا أمير المؤمنين : ما طابت إلا بالموت ، قال: وكيف قال لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، وقد ذُكر أنه لم ير فى الحجابة أعرق من ربيع وولده ، وكان ربيع حاجب أبى جعفر ومولاه ، ثم صار وزيره ، ثم حجب المهدى ، وهو الذى بايع المهدى وخلع عيسى بن موسى ، ومن ولده الفضل حجب هارون ومحمدا المخلوع وابنه عباس بن الفضل حجب محمدا الأمين فعباس حاجب ابن حاجب ، وقيل : إن الربيع بن يونس وزر للمنصور وللهادى ولم يوزر للمهدى وإنه مات فى أول سنة سبعين ومائة . الخطيب البغدادى : أحمد بن على أبو بكر : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بغداد ، ج٨ ، ص ٤١٤ . الذهبى ت . ٧٤٨ هـ : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محب الدين العمروى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، ط١ ، ج٧ ، ص ٢٥٤ .

[٣٨] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ١١٤ ؛ حمدى عبد المنعم : الدولة العباسية ، ص ٨٧ .

[٣٩] عمل أبو عبيد الله قبل أن يتولى الوزارة للمهدى كاتبًا ونائبه قبل أن يتولى الخلافة . ويبدو أن المنصور اكتشف فيه هذه الخصال فعزم على أن يستوزره ، ولكنه آثر به ابنه المهدى ، فكان غالبًا على أموره لا يعصى له المهدى قولاً ، وكان المنصور لا يزال يوصيه به ويأمره بامتثال مشورته ، ولما توفى المنصور وخلفه المهدى فوض إليه تدبير المملكة وسلم إليه الدواوين ، وكان مقدمًا فى صناعته ، فابتكر أمورًا لعل منها مشكلات الخراج ، فألفّ كتابًا فى نظام المقاسمة ، أوجد فيه نظامًا موحدًا للدولة فى الجباية ، وكان ذلك عاملاً فى ازدهار البلاد وزيادة الإنتاج وكثرة الخراج ، وأحد العوامل فى اتساع العمران فى العراق وتطوره منذ ذلك الحين . ابن طباطبا : الفخرى ، ١٨١ – ١٨٢ ؛ الجهشيارى : محمد بن عبدوس : الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ط١ ، ص ١٥٨ ؛ ضياء الدين الريس : الخراج فى الدولة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ط١ ، ص ٣٩٢ – ٣٩٣ ؛ إبراهيم سلمان الكروى : نظام الوزارة فى العصر العباسى الأول ، شركة كاظمة للنشر والترجمة ، الكويت ، ١٩٨٣ م ، ط١ ، ص ٦٧ – ٦٨ ؛ عباس العزاوى : تاريخ الضرائب العراقية من صدر الإسلام إلى آخر العهد العثمانى ، بغداد ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٣ ؛ حمدى عبد المنعم : الدولة العباسية ، ص ١١٦.

[٤٠] إبراهيم سلمان الكروى : نظام الوزارة ، ص ٧١ .

[٤١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، صـ ١٣٩ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب : ص ١٥٣ ؛ ابن طباطبا : الفخرى : ص ١٨٣ .

[٤٢] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ١٣٩.

[٤٣] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ١٣٩ ؛ أحمد شلبى : التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ط٣ ، ج٣ ، ص ٢٦٨ .

[٤٤] الفرع الزيدى : هو أحد أفرع البيت العلوى ، وعلى الرغم من تشيعه ، فإنه يختلف كثيرًا عن باقى فرق الشيعة ، من حيث الاعتدال فى الفكر السياسى والمذهبى ، فالزيديون بعيدون كل البعد عن الغلو والتطرف ، وكانت أفكارهم الدينية والسياسية التى انبنت عليها ثورتهم التى قادها رأس

ذلك البيت ، وهو زيد بن على زين العابدين بن الحسن بن على بن أبى طالب ، تنطوى على مبادئ عدة لعل أهمها : أولاً : الإفادة من أخطاء التجارب العلوية السابقة والجنوح نحو الاعتدال والوضوح ، خاصة بالنسبة لقضية الإمامة ، إذ إنهم يجعلونها بعقد البيعة عن طريق الشورى بين ولد الحسن والحسين ، لا بالنص والتعيين ، كما تنص باقى فرق الشيعة ، ثانيًا : عدم المناداة بمبادئ التقية والمهدية ، بل لابد من ظهور الإمام الذى يجب على المسلمين أن يعرفوه ، ليمكنهم إجابته ونصرته ، كما استبعدوا من فكرهم مبدأ العصمة ، لذلك أجازوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، كما جوزوا قيام إمامين فى وقت واحد إذا ما كانا من طرفين متباعدين ، ثالثًا : اشترط الزيدية ضرورة أن يكون الإمام عادلاً ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهذه المبادئ الثلاثة التى اتسمت بها الثورة الزيدية كانت بهدف كسب المزيد من الأتباع والأنصار وتوجيههم للكفاح المسلح تحقيقًا للأغراض السياسية . النوبختى : فرق الشيعة ، ص ٢٢ ؛ الشهرستانى : الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٦١ ، ٢٠٨ ؛ الورغمى : المختصر الشامل ، باب الإمامة ، تحقيق : سعد غراب ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد ٩ ، ذ٩٧٢ م ، ص ١٩٦ ؛ الصاحب إسماعيل بن عباد : نصرة مذاهب الزيدية ، بغداد ، ١٩٧٧ م ، ص١٣ ، ١٩٧ ، ٢٠١ .

[٤٥] ابن أبى زرع : نفسه ، صـ ١٨ .

[٤٦] ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب ، ت ٧٧٦ هـ – ١٣٧٤ م : أعمال الأعلام – القسم الثالث المعروف تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط ، تحقيق : أحمد مختار العبادى ، محمد إبراهيم الكتانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م ، صـ ١٩٣ .

[٤٧] البكرى : أبو عبد الله : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب – وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، نشر دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، صـ ١٢٠.

[٤٨] ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ج.س كولان ، ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، صـ ٢٩٩ .

[٤٩] وليلى : مدينة كانت تعرف قديما باسم volubulis (فلوبوليس) وعربت إلى وليلى ثم فاس أيام الأدارسة ، وهى تقع على السفح الجنوبى لجبل زرهون ، تبعد عن مكناس ٢٨ كم شمالاً ، كان يطلق عليها اسم مقر فردعون ، ومؤسسوها الأوائل مجهولون ، ويقال إنهم من القبط ، كانت معروفة قبل مجئ الرومان إلى المغرب ، وكانت عاصمة الملك جوبا البربرى (٢٥ ق . م – ٢٤ ق . م) ، وبعد الاحتلال الرومانى (٤٠ – ٥٤ ق . م) أصبحت حاضرة من حواضر موريتانيا الطبيعية، وأطلق عليها اسم فلولوبلدس ، وكان يقيم فيها الحكم الرومانى ، ولكن شأنها بدأ يضعف فى نهاية القرن الثالث الميلادى بعد وفاة الإمبراطور بروبوس ٢٧٦– ٢٨٧ م ، وظلت مسكونة من البربر إلى نهاية القرن الثامن الميلادى ، وعرفت باسم وليلى ، وقد انتعشت بعد دخول الإمام إدريس الأول إلى المغرب واتخاذها قاعدة له ، لكنها فقدت أهميتها بعد تأسيس مدينة فاس .

٥٠.أحمد بن القاضى المكناسى (ت . ١٠٢٥هـ) : جذوة الاقتباس فى ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٣ م ، ص ١٩ ، هامش ٢٠.

[٥١] ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، صـ ١٩٣ ؛ ابن أبى زرع : روض القرطاس ، صـ ١٩ .

[٥١] راشد الأوروبى : كان من أهل النجدة والشجاعة والعزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لآل البيت ، وكان بربريًا من قبيلة أوربة التى كانت تقطن فى سفح جبل زرهون وسهل سال ، أسر صغيرًا مع أبيه فى غزوة موسى بن نصير ، وأرسل إلى المشرق ، وهو الذى أشار على إدريس بالذهاب إلى المغرب فى قوله : " أريد بلاد المغرب فإنها بلادنا " فقاده إلى وليلى مركز قبيلة أوربة ، توفى عام ١٨٨ هـ – ٨٠٣ م ودفن بالقرب من ضريح الإمام إدريس بجبل زرهون فى الجهة الجنوبية إلى يمين الخارج للمزارة العليا من الجامع الكبير .

[٥٢] هو على بن عيسى بن ماهان : ١٩٥ هـ / ٨١٠ م ، أحد كبار الولاة والقادة فى العصر العباسى أيام الخليفة هارون الرشيد وابنه الأمين ، لم تذكر كتب التاريخ سنة ميلاده ، ولم تعرض شيئًا عن حداثته ونشأته ، سوى أن الخليفة المهدى جعله فى سنة ١٦٧ هـ مسئولا عن حراسة ولده موسى الهادى ، حين وجَّهه لمحاربة بعض المارقين من الفرس فى جرجان ، ثم أصبح له شأن بارز فى عهد الخليفة هارون الرشيد ، فقد عيَّنه فى سنة ١٨٠ هـ واليًا على خراسان وأعمالها ، إلا أن الرشيد ما لبث فى سنة ١٨٢ هـ أن ولَّى ابنه المأمون على خراسان ، وجعل على بن عيسى نائبًا له ، متفرغًا لقيادة الجيوش ومحاربة الخوارج والمناوئين للحكم العباسى فى تلك البلاد . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٦ ، ص ٧٥، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٣ . .

[٥٣] هرثمة بن أعين : أمير من القادة الشجعان ، له عناية بالعمران ، بنى فى أرمينية وإفريقية وغيرهما ، ولاّه الرشيد مصر سنة ١٧٨ هـ ، ولما بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون انحاز إلى المأمون ، فقاد جيوشه وأخلص له ، وكان الفضل بن سهل الوزير يبغضه فدس إليه من قتله فى الحبس سرًا بمرو . الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٨ ، ص ٣٣٢ ؛ ابن عماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٤٧٤ .

[٥٤] لمزيد من المعلومات عن عزل على بن عيسى بن ماهان والحيل التى استخدمها القائد هرثمة تفصيلًا راجع : الطبرى : تاريخ الرسل ، ج ٨ ، صـ ٣٢٤ – صـ ٣٣٢.

[٥٥] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ٢٧٧ .

[٥٦] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ٣٨٥ .

[٥٧] الطبرى : نفسه ، ج ٨ ، صـ ٤٠١ وما بعدها .

[٥٨] طاهر بن الحسين : اسمه طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعى ولد سنة ١٥٩ هـ ، وهو أحد أشهر قواد الخليفة العباسى المأمون ، وكان يعرف بذى اليمينين ، وقد سيره لمحاربة أخيه الأمين من خراسان لما خلع بيعته فتقدم طاهر إلى بغداد بعد كسر جيش الخليفة بالرى وأخذ ما فى طريقه من البلاد ، وحاصر بغداد وقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى خراسان وعقد للمأمون على الخلافة فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته ، وقد قام المأمون بتوليته على خراسان سنة ٢٠٥ هـ وأسس هناك الدولة الطاهرية وتوفى سنة ٢٠٧ هـ . الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

[٥٩] ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٥٠ .

[٦٠] ابن الأثير : نفسه ، ج٥ ، ص ٥٥١ .